نظرية القيامة في الإسلام والأديان الأخرى: دراسة تحقيقية

Theory of "Qayama" in Islam and Other religions: A research based Study

الدكتور حافظ حارث سليم[i] الدكتور محمد إقبال[ii]

Abstract

The faith in the day of Judgement is the cordinal belief among the articles of faith. It is found in every religion of the world.The concept of accountability of their good and bad deeds are present in all religions, though this is not exactly the same. It is either very brief or ambiguous due to alteration in their scripts. But Islam is the only semetic religion which depicts the whole picture of Doomsday. It unequivocally, mentions the whole scenario in detail. The Quran and Hadith very plainly enlighten and indoctrinate this belief in the minds of Muslims by using allegories and parables of the existing world. Due to its significance, Allah Almighty has mentioned different names and attributes of the Doomsday in His Holy Book. This article studies the concept of Doomsday in Islam and other major religions; Christainity, Judaism, Hinduism, ancient Greek and Roman Empire.At the end, the researchers have drawn different results.

Keywords: Qayama, Islam, Quran, Hadith, Religion.

إن لكل أمة أو تشريع عقيدة تتناول حياة ما بعد الموت، ولكن هذه العقيدة تختلف من أمة وأخرى ومن مواطن وآخر تبعا للظروف المساعدة في كل موطن، ونحن في هذا الموضع نحاول التعرف على بعض عقائد الناس الذين تتناول حياة ما بعد الموت عند بعض الأمم، ونبدأ من المصريين الأقدمين.

المصريون القدامى

وللمصريين تصورات كثيرة لما بعد الموت، ومن هذه التصورات هو عقيدة موت وبعث الإله (أوزريس) الذي اعتبر ملكا للموتي أجمعين[1]. وفي سنة 2600 قبل الميلاد ترسخت هذه العقيدة في نفوس الأوساط الشعبية[2]. وفي هذا الوقت كانت عبادة "أوزريس" قد أخذت تنتشر وتصير عبادة شعبية.

وعبادة أوزريس أساسها الأول أن كل إنسان – ملكا كان أو فردا عاديا – مسؤول بعد الموت عن أعماله في الدنيا أمام محكمة إلهية. يتولي القضاء فيها "أوزريس" نفسه، ويساعده فيها "توت"[3]، و"أنوبيس"[4]، و

---

i أستاذ مساعد في الكلية الحكومية، مري.

ii أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية،الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

"حوريس"[5]، و"معات"[6]. وإثنان وأربعون قاضيا. فإذا حكمت المحكمة بأن حسنات الميت ترجح سيئاته كوفئ بالنعيم الخالد، وصار مثل "أوزريس"، أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء في حياته فجزاؤه أن يفترسه الوحش، أو أن يلقي في النار، أو أن يضرب عليه نوع آخر من أنواع العذاب[7]. وهذا هو ما كان من عقيدة المصريين عن القيامة والجزاء والعقاب.

الديانة الزرداشتية

تتلخص عقيدة اليوم الآخر في الديانة الزرادشتية أن الميِّت عندما يموت تظل روحه معلقة ثلاثة أيام وثلاث ليال إلى جانب جسمه، منعمة بنعيمة أو معذبة بعذابه وفي فجر اليوم الرابع تهب عليها ريح، إما معطرة إذا كان الميت خيرا، وإما نتنة إذا كان الميت شريرا، فتحملها إلى موضع يلتقي فيه إما بفتاة جميلة، وإما بعجوز مفزعة، وليست الأولى فتاة حقيقة، ولا الثانية عجوزا حقيقة.

و"إنما هي صورة أعمال الميت، وهي ضميره الذي يقوده إلى حيث معبر الحساب، والحكم الأخير، وعلى هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة بينهم (ميتهرا)، وهناك ينصب ميزان توضع في إحدي كفتيه حسنات الميت، وفي الأخرى سيئاته، وبناء على صعود إحدي الكفتين أو هبوطها يصدر الحكم على مصير هذا الميت"[8].

"وعلى إثر انتهاء الوزن وصدور الحكم يؤمر المحاسب بالمرور فوق هذ المعبر أو الصراط الممتد فوق الجحيم، الذي يتسع أمام الأخيار، ويضيق حتى يكون أدق من الشعرة وأحد من الشفرة أمام الأشرار"[9].

"أما هؤلاء الأخيرون فإنهم يهوون في الجحيم كانوا متزاحمين كأنهم كمية من الشعر في معرفة حصان، ومع ذلك فكل واحد منهم يشعر في وسط هذا الزحام بوحدة قاسية و عزلة محضة، وأما الأخيار فيذهبون إلى النور حيث يستقبلهم (أهورامازدا) بعد أن يمروا في وسط العمل الصالح والقول الخير والفكرة الطيبة. وهناك يستمتعون في كنف (مازدا) بالسعادة الأبدية[10]."

وهكذا يكون الحساب والجنة والمطهر في ديانة زرادشت، فالعالم الدنيوي يتصل بالعالم الأخروي بجسر يسمي "جسر الانفصال". وعندما يموت الانسان فإن أرواحهم تجتاز هذا الجسر لتصفي فيه... فأما الأرواح الطيبة فتمر عليه وهي مطمئنة إلى المصير اللذي ينتظرها عندما تصل إلى الجانب الثاني، وهو بيت الخلود أو الجنة، وأما الأرواح الشريرة فإنها عندما تمر على الجسر ترجف من الفزع والخوف ولا تستطيع أن تجتاز الجسر لما تحمل من ذنوب، فترتدي في درك من الجحيم يتناسب عمقه مع ما اقترفت كل الأرواح من ذنوب وهذا الجحيم عبارة عن هاوية مظلمة تثير الرعب وتضرب فيها الأرواح المذنبة حتى الأبد"[11].

اليوم الآخر عند اليونان

إن أهم ما يمكن أن نجده من عقائد لليونان في "اليوم الآخر"، هو ما ورد في "أوذيسة هوميروس"، فإن "هو ميروس" يذكر فيها على لسان "عوليس" أنه رأي في "هيدز"[12]: الإله "مينوس" جالسا على عرشه والصولجان الذهبي في يده، والموتي يعرضون عليه قضاياهم، وقد تجمعت جموعهم عند البوابات الكبيرة ينتظرون دورهم في عرض قضاياهم"[13].

ومن ألوان العذاب التى رآها أنه شاهد "تيتوس" الجبار منبطحا على الأرض بحيث يشغل فضاء تسعة أفئدة. وعلى كل من جنبه أفعوان هائل أرقم يتغذي بمضغ من كبدء الكبير الداني، ومن أحشائه الغلاظ، وذلك جزاء على أنه حاول اجتذاب "لاتونا" عشيقة كبير الآلهة، لا لأنه صنع شرًّا في العالم الدنيوي[14].

ويقول الشاعر "بندار" في قصيدته الأولمبية الثانية، في القرن الخامس قبل الميلاد: "سيجد العظماء في الأرض قاضيا في الجحيم، فالذين ارتكبوا منهم أعمالا محرمة تحاكمهم الآلهة "أنانكي"[15].

اليوم الآخر عند الرومان: ويمثل عقيدة الرومان باليوم الآخر شاعر الرومان الأكبر "قرجيل" (70–19) قبل الميلادي، وذلك في ملحمة "الألياذة" المؤلفة من إثني عشرة فصلًا، ستة منها على مثال الأوذيسة، وستة على مثال "الإلياذة" لهوميروس.

وفي أحد الفصول الستة يذهب "إيناس" بطل الملحمة إلى العالم السفلي للالتقاء بروح أبيه "أنشيز" لاستفتائها في مستقبله ومستقبل ذريته و يهبط مع كاهنة تقوده إلى منازل الموتي، وقد امتلأت أشباحا وأرواحا، ويعبران نهر "ستكس". وهو نهر في الجحيم ملئ بالحيوانات المخيفة، ويشرف على عبورهما "شارون" النوتي الكئيب اللذي يقوده أرواح الموتى، ثم تمضي الكاهنة يتبعها "إينياس" في عالم كله يأس وقنوط، تروح فيه وتغدو صنوف من أشاح الموتي، و هنالك يلتقي "إينياس" بكثيرين من أبطال "طروادة" .." وأخيرا يلقي أباه فينبئه بما قد كتب لسلالته من مجد وفخار"[16].

اليوم الآخر في الديانة الهندية القديمة

الباحث في أشهر هذه الديانات وهي "الهندوسية" و "البوذية"لا يجد عالما آخر للحساب والجزاء، إنما يجد مكانه "النيرفانا" وهي الفناء في الروح الأعظم[17].

فأما عند "الهندوس"، فقد ورد ما يلي: وتهامس بعض الناس: إذن فلا جدوى في أن يكون المرء صالحا؟ وهنا أجاب الكهنة: بل هناك جدوى. فإنك إذا كنت صالحا في هذه الحياة فستجازي عن صلاحك في الحياة الأخرى ... وتساءل القوم: أية حياة؟ وأجاب الكهنة: لكل كائن حي روح، وهذه الروح تأتي من براهما روح العالم. وبراهما لا يموت قط.

وهكذا فإن روح الكائنات الحية التي تأتي من روح العالم لا تموت قط. وتساءلوا من جديد: إذن ما اللذي يحدث للروح عند مايموت الإنسان؟ وكان الجواب: عندما يموت الإنسان تخرج روحه من جسده وتدخل على الفور جسد طفل ولد لتوه. "فإذا كان الإنسان منت يحيون حياة طيبة صالحة ولد في طائفة أعلي بينما يولد في طائفة أدني إذا كان يحيا حياة فاسدة مليئة بالشر"[18].

"من هنا بالذات جاء تناسخ الأرواح كما يؤمن به الهندوس، فالروح تتقمص عديدا من الأجساد خلال رحلتها في الفضاء الخارجي حتى تصل إلى هدفها النهائي"[19].

أما في الديانة البوذية فإن لهم إلها خاصا تحت الأرض، و"البك" قطعة قديمة تصور ما يحدث بعد موت العاصي من حساب "يخطئ المرء في الفعل وفي المكتبة وفي التفكير، ثم حالما يتفتت الجسد بعد الموت يقوم بطريقة مفزعة، مقدمة إياه لعقاب الحفظة أمام ياما YAMA مجردا عن بنيه خلوا من الاحترام للأشياء الجليلة والمقدسة والاحترام لرأس الأسرة يؤنبه ياما قائلا: اذكر أيها الإنسان ألم تر ظاهرا بين الناس رسولنا الأول. فالثاني فالثالث ؟ لا ياسيدي، ألم تر شيخا أو مسنة أو مريضا أو مريضة أو ميتة ؟ رأيت يا سيدي اذكر أيها الإنسان ؟ ألم يحدث هذا لك تحذير وعبرة فتقول: سأكون مثلهم أيضا، تعالوا سأفعل الطيبات في العمل والقول والتفكير؟ لم أفعل يا سيدي، كنت مهملا. اذكر أيها الإنسان إنه بناء على إهمالك يفعلون بك، وا أسفاه أفهذه أفهالك لم تقم بها أم ولا أب ولاأخ ولاصديق أو زميل أو قريب سواك، نعم أتيت بهذه الأفعال، فأنت الآن تجني نتائج ما كان"[20].

معنى القيامة عند اليهود

لاشك عندنا أن "العهد القديم" لا يمثل العقيدة السماوية التى جاء بها موسى عليه السلام. فالعقيدة التي جاء بها موسى تحتوي على صورة واضحة للعالم الآخر، الذي يلقي الناس فيه جزاء أعمالهم في الدنيا، وقد جاء في كلام الله سبحانه و تعالى لموسى –عليه السلام– في أول موقف للنداء في جانب الطور الأيمن[21]:

إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى[22]

"ولكن بني إسرائيل إنحرفوا عن ديانة موسى، وأغفلوا ما جاء فيها عن الآخرة، فخلت كتبهم الملفقة من ذكرها "[23]، لكن اليهود اقتبسوا عقيدة يوم الآخر من الفرس فدرسوا عقائد زرادشت، واقتبسوا منها. وفي هذ الوقت بدأ الأنبياء أشعياء ودانيال، يذكرون الناس بيوم البعث والحساب والجزاء"[24].

فوردت إشارات عن اليوم الآخر في أسفارهم. وقد جاء لفظ النار في التوراة "سول واش"، قال علماء اليهود و معني اللفظين "جهنم" كما في الفصل الثامن عشر، وفي السفر الثالث ولفظه: "واحفظوا رسومي وأحكامي فإن جزاء من عمل بها إن يحيى الحياة الدائمة"[25].

وجاء في سفر أشعيا "لأنه هو ذا الرب بالنار يأتي ومركباته كزوبعة ليرد بحمو غضبه وزجره بلهيب نار. لأن الرب بالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر ويكثر قتلي الرب الذين يقدسون ويطهرون أنفسهم في الجنات وراء واحد في الوسط آكلين لحم الخنزير والرجس والجرذ يفنون معا. يقول الرب: وأنا أجازي أعمالهم وأفكارهم .حدث لجمع كل الأمم والألسنة فيأتون ويرون مجدي"[26].

وفي سفر دانيال جاء قوله:

> "وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك و يكون زمان ضيق من يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت وفي ذلك الوقت ينجي شعبك كل من يوحد مكتوبا في السفر وكثيرون من

الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي. والفاهمون يضيؤن كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور[27]."

معنى القيامة عند النصارى: أما في النصرانية فقد جاء ذكر القيامة في الأناجيل الأربعة المعترف بها من قبل الكنيسة، على الرغم من وجود قيامتين لديهم: "الأولى قيامة المسيح بعد دفنه بثلاثة أيام، والثانية قيامة يوم القيامة[28].

جاء إنجيل متى:

"قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زني بها في قلبه فإن كانت عينك اليمني تعثرك فاقلعها والقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقي جسدك كله في جهنم[29]

وفي إنجيل مرقس نجد قوله:

"ومن أعثر أحد الصغار المؤمنين بي فخير له لو طوق عنقه رحي وطرح في البحار. وإن عثرتك يدك فاقطعها خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضي إلى جهنم إلى النار التي تطفأ.حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ. وإن أعثرتك رجلك فاقطعها خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان وتطرح في جهنم في النار التي لا تطفأ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ. وإن أعثرتك عينك فاقلعها. خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح في جهنم النار، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ. لأن كل واحد يملح بنار و كل ذبيحة تملح بملح[30]"

وعودة أخرى إلى إنجيل متى حيث يعرض لنا مشهدا من مشاهد القيامة والحساب لديهم حيث جاء:

"ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. لأني جعت فأطعمتموني عطشت فسقيتموني كنت غريبا فآويتموني عريانا فكسوتموني مريضا فزرتموني. محبوسا فأتيتم إلى فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب أمتي رأيناك جائعا فأطعمناك أو عطشانا فسقيناك، و متى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا إليك. فيجيب الملك و يقول لهم ، الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم[31]"

ثم يقول أيضا:

"للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته، لأني جعت فلم تطعموني. عطشت فلم تسقوني. كنت غريبا فلم تأووني، عريانا، فلم تكسوني مريضا ومحبوسا فلم تزوروني.حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين يا رب متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك. فيجيبهم قائلا الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا، فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية[32]".

معنى القيامة عند العرب قبل الإسلام: لم يكن كثير من الجاهليين يؤمنون بالبعث كما يتبين ذلك من القرآن الكريم. لقد كانوا يرون أن الموت نهاية، وأنهم غير مبعوثين، وأن البعث بعد الموت شيء غير معقول، فهم ينكرون البعث والحساب، ولا يريدون سماع شيء عنهما، ولا يصدقون عودة الروح إلى الجسد بعد أن فارقته، فذلك عندهم من المستحيلات، ولذلك سخروا من البعث لما سمعوا به .وكيف يكون بعثاً وقد فنت الأجساد، فلم تبق منها بقية !فرأي من أنكر الحشر والبعث من أهل الجاهلية، ان الحياة حياة واحدة، هي حياتنا التي نحن فيها في دار الدنيا، ولا يكون بعد الموت بعث ولاحساب، نحيا ونموت، يموت بعضنا ويحيا بعضنا، وما يميتنا إلا الأيام والليالي،أي مرور الزمان وطول العمر. فالحياة إذن حياة وموت في هذه الدنيا، وهي استمرار للاثنين على مدى الدهر، يولد انسان ثم يموت ليحل محله إنسان آخر، وهكذا بلا انتهاء.

لذا تعجبوا من قول النبي بوجود البعث والحساب، وفي القرآن الكريم آيات فيها خطاب للمشركين في بيان فساد رأيهم واعتقاداتهم، وفيها رد عليهم، منها نستطيع أن نحيط بعض الإحاطة بآرائهم في الوجود وفي البعث والحشر والحساب وغير ذلك من أمور تتعلق بدياناتهم. وهذه الآيات هي الشواهد الوحيدة التي نملكها من آراء في ذلك العهد أما ما جاء في روايات الأخباريين وفي كتب التفسير والحديث والملل والنحل.

وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ[33]

وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ [34]

وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا[35]

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [36]

وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ[37]

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ [38]

وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ[39]

أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ [40]

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ & وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ [41]

وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ[42]

إِنَّ هَؤُلَاء لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ [43]

والآيات المتقدمة وأمثالها كلها حكاية عن رأي كثير من الجاهليين في نفي البعث وفي عدم إمكان العودة إلى حياة أخرى بعد موت يهلك الجسم ويفني العظام فيجعلها رميمًا ويمحو كل أثر للجسم، لذا كان البعث من أهم ما عارض فيه الجاهليون معارضة قاسية شديدة، وكان من الموضوعات التي سخروا وآخذوا عليها الرسول. وكانوا يقولون:

> "إن هي إلا موتتنا الأولى التي نموتها، وهي الموتة الأولى، وما نحن بمنشرين بعد مماتنا ولا بمبعوثن تكذيبًا منهم بالبعث والثواب والعقاب. "وقالوا للرسول: فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا إن كنتم صادقين، إن الله باعثنا من بعد بلانا في قبورنا، ومحيينا من بعد مماتنا"، وقالوا أَئِذَا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون ؟ يقولون منكرين بعث الله اياهم بعد بلائهم .أئنا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا ومصيرنا ترابًا وعظامًا قد ذهب عنها اللحوم. أو آباؤنا الأوَّلون الذين مضوا من قبلنا فماتو وأوهلكوا ؟"[44]

"وقد يسأل سائل إذا كان أغلب أهل الجاهلية لا يؤمنون بثواب ولا بحساب وبعث ونشر، فلمَ تعبدوا إذن لإله، وتقربوا إلى الأصنام، وقدموا القرابين والنذور؟ وجوابي على هذا السؤال، هو ما ذكره المتقدمون عنه. قالوا:

> "كانت العرب في الجاهلية تدعو في مصالح الدنيا فقط، فكانوا يسألون الإبل والغنم والظفر بالعدو، ولا يطلبون الآخرة؛ إذ كانوا لا يعرفونها ولا يؤمنون بها[45]"

"واعتقد قوم من العرب في الجاهلية بالرجعة :أي الرجوع إلى الدنيا بعد الموت .فيقولون إن الميت يرجع إلى الدنيا كرة أخرى ويكون فيها حيا، كما كان .ولعل هذه العقيدة هي التي حملت بعض الجاهليين على دفن الطعام وما يحتاج الإنسان في حياته إليه مع الميت في قبره، ظناً منهم، أنه سيرجع ثانية إلى هذه الدنيا، فيستفيد منها، فلا يكون معدماً فقيراً .ويفهم من كتب الحديث أن من الناس من سأل الرسول عن الرجوع إلى هذه الدنيا، مما يشير إلى معرفة القوم عند ظهور الإسلام بهذا الرأي"[46].

"وقد اعتقد بعض الجاهليين بــ"المسخ"، وهو تحول صورة إلى صورة أخرى أقبح، وتحول إنسان إلى صورة أخرى أقبح، أو إلى حيوان. كأن يصير إنسان قردًا، أو حيوانًا آخر، أو إلى شيء جماد. من ذلك ما يراه بعض أهل الأخبار عن " اللات"، من أنه كان رجلا يلت السويق عند صخرة بالطائف، فلما مات قال لهم "عمرو بن لحي"، إنه لم يمت، ولكنه دخل الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها وبنى بيتًا عليها يسمى اللات. وما رووه ايضًا عن " أساف"، و" نائلة"، من أنهما كانا رجلا وامرأة، عملا عملًا قبيحًا في الكعبة، فمسخا حجرين. وما رووه من أن "سهيلاً" كان عشارًا على طريق اليمن ظلومًا، فمسخه الله كوكبًا[47]"

معنى القيامة عند المسلمين:القرآن الكريم كتاب الله يعالج حياة الإنسان، فلم يترك مجالًا يهمُّ الإنسان إلا ورسم خطوطه العريضة، فهو كتاب عملي صالح لكل زمان ومكان. ومن الجوانب اهتم بها القرآن وبينها و فصلها هي طبيعة الحياة التى تعقب الموت، وهي من الأمور المغيبة التي لايمكن الجزم بها إلا بوحي إلهي.

"لقد عنى القرآن بمشاهد البعث والحساب والنعيم والعذاب؛ فلم يعد ذٰلک العالم الآخر الذى وعده الناس بعد هذا العالم الحاضر، موصوفا فحسب، بل عاد مصورا محسوسا، وحيا متحركا، و بارزا شاخصا، وعاش المسلمون فى هذا العالم عيشة كاملة، رأوا مشاهده و تأثروا بها؛ وخفقت قلوبهم تارة، واقشعرت جلودهم تارة، وسرى فى نفوسهم الفزع مرة، وعاودهم الإطمئنان الأخرىٰ؛ ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود"[48].

إن الإنسان إذا مات قامت قيامته كما هو وارد عندنا ، و يستمر إلى أن يأذن الله لإسرافيل للنفخ في الصور النفخة الأولى فينفخ بها فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاءالله:

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ[49]

فبعد الحياةالبرزخية تكون النفخة الثانية فيخرج الناس من قبورهم ويبعثون من جديد، وهم حياري لا يعلمون أين يتوجهون فيتهافتون تهافت الفراش:

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ [50]

ثم يسمعون الداعي والمنادي:

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ[51]

فيتوجهون صوب الصوت وهم على جمعهم الكبير فأشبه حالهم حال الجراد المنتشر:

خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ [52]

فيجتمعون للحساب ، وهو حساب مرير طويل على الكافرين قصير على المؤمنين:

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [53]

وفي هذالحساب يؤتي بالشهود في هذه المحكمة الإلهية:

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[54]

وتنصب الموازين:

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [55]

فأما إن ترجح الحسنات أو السيئات:

فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ[56]

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ [57]

وتوزع الكتب عليهم:

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ[58]

وينصب الصراط على جهنم فيمر عليه الجميع:

وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا[59]

فإما أن ينجوا منها أو يسقطوا فيها:

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا[60]

فأما الناجون فقد أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار:

بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا[61]

وهذه الجنات عندما يصلوها يجدوها مفتحة لهم أبوابها:

جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ [62]

وفي هذه الجنان من أصناف النعيم ما لم تره عين و لم يخطر على قلب بشر وليس له شبيه في الدنيا ولا يشترك مع أصناف النعيم في الدنيا إلا بالأسماء ، فأنهار الجنة من ماء وعسل ولبن وخمر:

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى...[63]

ولهم من الأطعمة و الفواكه ما يشتهون:

وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ[64]

ولهم من الحور العين من يبهج القلوب ويريح النفوس:

وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ[65]

ولهم أكبر من ذلك كله ألا وهو رضوان الله عليهم:

وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍوَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[66]

ولهم النظر إلى وجه الباري جل وعلا وهو نعمة ما بعدها نعمة:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ[67]

أما في الطرف الآخر فأعد الله لهم النار إذا رأتهم سمعوا لها تغيظا وزفيرا:

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا[68]

وفي النار من أصناف العذاب ما لا طاقة للإنسان به فطعامهم الزقوم والغسلين والضريع، والذي ينظر إلى شجرة الزقوم يرتعد قلبه رعبا وخوفا من ذلك المنظر:

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ [69]

وأما إذا ما طلبوا الماء سقوا حميما يقطع أمعاءهم:

وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ[70]

ولهب النار لهب عظيم و شررها شررر عظيم:

إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ [71]

وإذا مانضجت جلودهم من شدة العذاب بالنار أبدلهم جلودا غيرها ليزداد عذابهم:

كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا[72]

وهي دركات عدة أدناها يوضع المنافقون:

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا[73]

هذا وإن الخلود قد شمل الجميع فإما خلود في النعيم وإما خلود في الجحيم:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[74]

كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا[75]

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون إلى قيام الساعة وذلك مما اطلعه الله عليه من الغيوب المستقبلية، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًا، حتى بلغت التواتر المعنوي، فمنها:

أ. ما رواه حذيفة رضي الله عنه قال:

لقد خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم خطبة ما ترك فيها شيئًا إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيته، فأعرفه، كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه[76].

ب. روى أبو زيد عمر بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه، قال:

صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل، فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل، فصلى، ثم صعد، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا[77]

فهذه أدلة صحيحة على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أمته بكل ما هو كائن إلى قيام الساعة فيما يخصهم، ولا شك أن أشراط الساعة كثيرة جدًا، ورويت بألفاظ مختلفة لكثرة من نقلها من الصحابة رضي الله عنهم[78].

وهكذا يتضح لنا هذا العالم الغامض، فهو موت وبعث، نعيم وعذاب، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم الجنة بما فيها من نعيم، وأما الذين كفروا وكذبوا بلقاءالله، فلهم النار بما فيها من جحيم.

نتائج البحث

بعد الوقوف علي هذه الدراسة البسيطة حول "معني القيامة في الإسلام والأديان الأخرى" توصلنا إلى نتائج عديدة فمن أهمها:

ما جاء في كافة الشرائع والأديان والأمم التي قبل الإسلام مثل التفصيل الذي جاء في القرآن الكريم عن يوم القيامة، وحتى الكتب السماوية المنزلة قبل القرآن قد تناولها التحريف ولم تعد مصدرا ثقة أو تشريع، وهي على تحريفها لم تتضمن من صور ذلك اليوم إلا الشيء اليسير الذي لا تبتني به عقيدة أو يقوم عليه دين.فكرة الإيمان باليوم الآخر فكرة حية وعميقة في الوجود البشري، تنسجم وفطرته، وتشكل حدا فاصلا للصراع بين الخير والشر.اللجوء إلى قوة عظمي لتحقيق العدالة الإنسانية، فيثاب المحسنون على إحسانهم، ويعاقب المسيئون على إساءتهم.حياة الإنسان في الدنيا هي طريقه إلي الآخرة، وهذا يقود إلي ضرورة إعمار الدارين الدنيا والآخرة.

الحواشى والهوامش

1 سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن: 15، دار المعارف مصر

2 المصدر نفسه

3 "توت": إله الحكمة والعلم عند المصريين القدماء.

4 "أنوبيس": هو مدير الدفن ودليلهم في الآخرة حسب اعتقادهم.

5 "حوريس": ابن اوزريس وايزيس.

6 "معات": آلهة الحقيقة والعدل عندهم.

7 مشاهد القيامة في القرآن:15

8 المصدر نفسه: 21

9 المصدر نفسه:21-22

10 المصدر نفسه:22

11 سليمان مظهر، قصة الديانات: 314- 315، الوطن العربي

12 مشاهد القيامة في القرآن:23

13 المصدر نفسه:23

14 المصدر نفسه:23 -24

15 المصدر نفسه:28

16 مشاهد القيامة في القران:29، نظرا إلي كتاب "قصة الأدب في العالم " للدكتورين: أحمد أمين وزكي نجيب، و"من أساطير الحب والجمال عند الإغريق" للأستاذ دريني خشبة.

17 المصدر نفسه:26

18 قصة الديانات:55

19 المصدر نفسه:56

20 محمد جابر العال، الدكتور، في العقائد والأديان: 129- 130، الديانات الكبرى المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر، 1971م

21 مشاهد القيامة في القرآن:30.

22 سورة طه، رقم الآية: 15

23 رشدي عليان، قحطان الدوري، الدكتوران، أصول الدين الإسلامي: 418،مطابع دار الحكمة، بغداد، 1411هـ

24 المصدر نفسه:418

25 صديق حسن خان، يقظة أولي الاعتبار في ذكر النار وأصحاب النار:8، مطبعة الإمام مصر

26 الكتاب المقدس سفر أشعيا إصحاح: 15- 18، دار الكتب المقدس في الشرق الأوسط

27 الكتاب المقدس سفر دانيال، إصحاح: 1- 3

28 مشاهد القيامة في القرآن:33

29 الكتاب المقدس إنجيل متي، إصحاح:27- 30

30 الكتاب المقدس إنجيل مرقس، إصحاح:42- 49

31 الكتاب المقدس إنجيل متي، إصحاح: 31- 43

32 المصدر نفسه، إصحاح: 40- 46

33 سورة الأنعام، رقم الآية:29

34 سورة النحل، رقم الآية: 38

35 سورة الإسراء، رقم الآية:49- 53

36 سورة التغابن، رقم الآية:7

37 سورة هود، رقم الآية: 7

38 سورة المؤمنون، رقم الآية:81- 83

39 سورة الرعد، رقم الآية:5

40 سورة المؤمنون، رقم الآية:35- 37

41 سورة النمل، رقم الآية67- 71

42 سورة السجدة، رقم الآية:10- 11

43 سورة الدخان، رقم الآية:34- 35

44 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن23: 30، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة 1423 هـ

45 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الآملي، جامع البيان عن تأويل آي القرآن2: 432، مؤسسة الرسالة

46 الدكتور جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: 1268، دار الساقي،1422 هـ

47 المصدر نفسه:1268

48 مشاهد القيامة في القرآن:37

49 سورة الزمر، رقم الآية:68

50 سورة القارعة، رقم الآية: 4- 5

51 سورة القمر، رقم الآية:6

52 سورة القمر، رقم الآية:7

53 سورة المطففين، رقم الآية:6

54 سورة النور، رقم الآية:24

55 سورة الأنبياء، رقم الآية:47

56 سورة المؤمنون، رقم الآية:102- 103

57 سورة القارعة، رقم الآية:6- 11

58 سورة الحاقة، رقم الآية:19-29

59 سورة مريم، رقم الآية: 71

60 سورة مريم، رقم الآية: 72

61 سورة الحديد، رقم الآية:12

62 سورة ص، رقم الآية:50

63 سورة محمد، رقم الآية:15

64 سورة الواقعة، رقم الآية:20-21

65 سورة الواقعة، رقم الآية:22-23

66 سورة التوبة، رقم الآية: 72

67 سورة القيامة، رقم الآية:23

68 سورة الفرقان، رقم الآية: 12

69 سورة الصافات، رقم الآية:64-65

70 سورة محمد، رقم الآية: 15

71 سورة المرسلات، رقم الآية:32- 33

72 سورة النساء، رقم الآية:56

73 سورة النساء، رقم الآية: 145

74 سورة هود، رقم الآية: 23

75 سورة يونس، رقم الآية: 27

76 ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري11: 494، دار المعرفة بيروت

77 النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف، شرح النووي على صحيح مسلم18: 16، دار القلم بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ

78 يوسف بن عبد الله بن يوسف وابل، أشراط الساعة: 55، رسائل جامعية، دار ابن جوزي